

العقيدة والأخلاق

د. كمال يوسف

المحاضرة التاسعة

جامعة الدمام- مقرر العقيدة والأخلاق- التعليم عن بعد (د. كمال يوسف).

المحاضرة التاسعة:

- ❖ الأخلاق: تعريفها
- ❖ مداركها وأسسها
- ❖ ارتباط معظم أحكام الشريعة بالأخلاق

- **الخلق:** "صفة مستقرة في النفس-فطرية أو مكتسبة- ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة".
- **قياس مستوى الخلق:** ويتم ذلك عن طريق قياس آثاره في السلوك ؛ فالصفة الخلقية المستقرة في النفس إذا كانت حميدة كانت آثارها حميدة ، وإذا كانت ذميمة كانت آثارها ذميمة ، وعلى قدر قيمة الخلق في النفس تكون- بحسب العادة- آثاره في السلوك إلا أن توجد أسباب معوقة أو صوارف صادرة عن ظهوره.

- **الفرق بين الخلق والغرائز والدوافع:** ليست كل الصفات المستقرة في النفس من قبيل الأخلاق ، بل منها غرائز ودوافع لا صلة لها بالخلق. ولكن الذي يفصل الأخلاق ويميزها عن جنس هذه الصفات كون آثارها في السلوك قابلة للحمد والذم ؛ فبذلك يتميز الخلق عن الغريزة ذات المطالب المكافئة لحاجات الإنسان الفطرية
- إن الغريزة المعتدلة ذات آثار في السلوك ، إلا أن هذه الآثار ليس مما يحمد الإنسان أو يذم عليه، فالأكل عند الجوع بدافع

الغريزة ليس مما يحمد أو يذم عليه في باب السلوك الأخلاقي ؛ لكن الشره الزائد أمر مذموم لأنه أثر لخلق في النفس مذموم هو الطمع المفرط وعكس ذلك أثر لخلق محمود هو القناعة .

- وهكذا سائر الغرائز والدوافع التي لا تدخل في باب الأخلاق إنما يميزها عن الأخلاق كون آثارها في السلوك أمور طبيعية ليست مما تحمد إرادة الإنسان عليه أو يذم.



مدارك الأخلاق وأسسها

مدارك الأخلاق وأسسها

٧

- لدى التحليل يتبين لنا أن مدارك الأخلاق: فكرية علمية
- فكرية علمية.
- فطرية وجدانية.
- إيمانية.

مدارك
الأخلاق

فكرية علمية

فطرية
وجدانية

إيمانية

تابع: مدارك الأخلاق وأسسها:

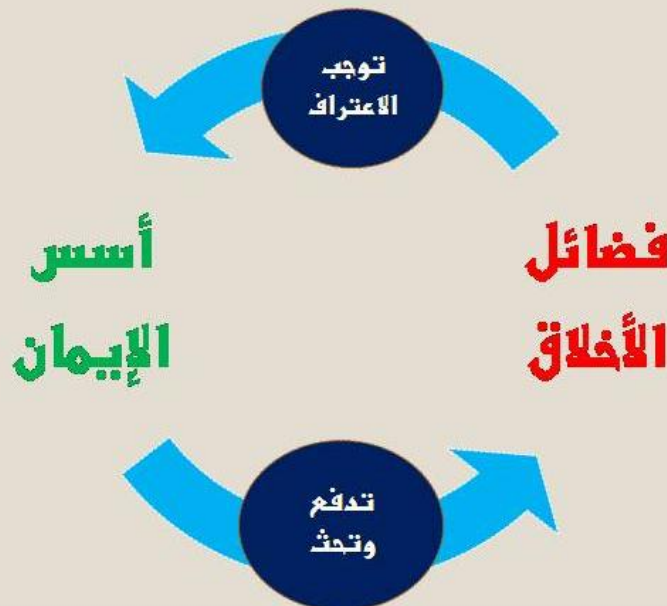
٨

- **وأما كونها فكرية علمية:** فلأن مكارم الأخلاق يؤيدها الفكر العلمي ويستحسنها ؛ ولأن رذائل الأخلاق يؤيد العقل اجتنابها ويستقبحها ويحرم ما يحرم منها.
- **وأما كونها فطرية وجدانية:** فلأن في فطر الناس الوجدانية ميلاً إلى مكارم الأخلاق ورغبة داخلية بالتزامها ؛ ولأن في فطر الناس الوجدانية نفوراً واشمئزاً من رذائل الأخلاق ورغبة داخلية باجتنبها واجتناب كل سلوك هو من آثارها.

• **وأما كونها إيمانية:** فلأن القاعدة الإيمانية في الإسلام تلزم بطاعة الله في أوامره ونواهيه ، وقد اشتملت أوامر الله ونواهيه ووصاياه على التوجيه للعمل بمكارم الأخلاق واجتناب رذائلها وقرنت ذلك بالوعد بالثواب لمن أطاع والوعيد بالعقاب لمن عصى.

• **التشابك بين أسس الأخلاق وأسس الإيمان:** فالإيمان بالإسلام سلوك إرادي توجبه فضائل الأخلاق التي تدركها الأفكار العلمية وتحسنها ، كما تستقبح أضرارها

وتميل الفطر الوجدانية السليمة إلى ممارستها وتشمئز من أضرارها



● وفضائل الأخلاق وما تقتضيه من سلوك أمور يوجبها أو يرغب فيها الإيمان بالإسلام ويحث عليها؛ ولذلك جاء في كلام الرسول -صلى الله عليه وسلم: (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَخِيَارُهُمْ خِيَارُهُمْ لِنِسَائِهِمْ) المسند. فالرسول -صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث يبين الربط بين الإيمان وحسن الخلق. وحين نتدبر حقيقة الإيمان نجده يستلزم في درجاته المرتقية كل الفضائل الإنسانية لأن الله الذي هو الحقيقة الكبرى التي

ترتبط بها جميع أركان الإيمان وفروعه يأمر بكل الفضائل ومنها الفضائل الخلقية ، وينهى عن كل الرذائل ومن ضمنها الرذائل الخلقية ، والمؤمن يجد نفسه ملزماً باتباع ما أمر الله به ، واجتناب ما نهى الله عنه ، وللإيمان من التأثير ما ليس لأي قوة أخرى داخلية في النفس أو خارجة عنها ، ومن شواهد هذه الحقيقة قصة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه مع عيينة بن حصن:

- روى ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَدِمَ عُبَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُدَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ وَكَانَ الْقُرَاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كَهَوْلًا كَانُوا أَوْ شَبَابًا فَقَالَ عُبَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ يَا ابْنَ أَخِي هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ فَاسْتَأْذِنَ لِي عَلَيْهِ قَالَ سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَاسْتَأْذِنَ الْحُرُّ لِعُبَيْنَةَ فَأُذِنَ لَهُ عُمَرُ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ هِيَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ فَعُضِبَ عُمَرُ حَتَّى

هَمَّ أَنْ يُوقَعَ بِهِ فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ] وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ (اللَّهِ) الْبُخَارِيِّ. هذا هو أثر الإيمان في قلب عمر ولولا الإيمان في قلبه لبطش بعبينة على وقاحتها وافترائه وهكذا يتبين لنا وجود التشابك الجذري بين الأخلاق والقاعدة الإيمانية في الإسلام ؛ وعليه نستطيع أن نقول: إن أسس الأخلاق

- هي أسس:
- فكرية علمية.
- وفطرية وجدانية.
- وإيمانية.
- كما أن أسس القاعدة الإيمانية هي أسس:
- فكرية علمية.
- وفطرية وجدانية.
- وأخلاقية.



ارتباط معظم أحكام الشريعة بالأخلاق

• ارتباط قسم الأحكام الاعتقادية بالأخلاق: إن العقائد

الإسلامية هي في حقيقة ذاتها حقائق علمية ، وهذه الحقائق العلمية متنوعة ومتصلة بأركان العقيدة كلها ؛ والإذعان للحقائق العلمية فضيلة أخلاقية يدفع إليها أحد الأسس الأخلاقية ، وهو حب الحق وإيثاره ، وجحود الحقائق العلمية رذيلة خلقية يدفع إليها كراهية الحق.

• ارتباط الأحكام التعبدية بالأخلاق: إن العبادة في

الشريعة الإسلامية لا تكون إلا لله تعالى ؛ وموجب

العبادة لله طاعة أمره وشكره على نعمه بإعلان الخضوع له ، أما طاعة من تجب طاعته فهي ظاهرة خلقية يدفع إليها أساس أولي من الأسس الأخلاقية وهو حب الحق وإيثاره ؛ لأن من تجب طاعته فحقه أن يطاع ، ومن يتمتع بخلق حب الحق وإيثاره فإن خلقه هذا يدفعه إلى تأدية هذا الحق لمستحقه ، فهو يؤدي إذن حق الطاعة لمستحقها فيعبد الله حسب أمره ، وعلى ما يرضيه.

- **ارتباط قسم أحكام المعاملات المالية بالأخلاق:** إن المعاملات المالية قائمة على أساس الحق والعدل ، ومعلوم أن حب الحق أحد الأسس الأخلاقية العامة ، فمن كان يتمتع بخلق حب الحق فإنه لابد أن يجد نفسه مدفوعاً بعامل خلقي للإلتزام بأحكام المعاملات المالية التي جاء بها الإسلام ؛ لأنها قائمة على الحق والعدل.
- **ارتباط أحكام العلاقات الاجتماعية بالأخلاق:** فإذا أخذنا أحكام نظام الأسرة وحقوق أفرادها ، وواجباتهم

- فإننا نلاحظ أنها قائمة على مبدأ التعاون بين أفرادها وتوزيع المسؤوليات وفق مصالح الجماعة التي تتوزع بالتالي على الأفراد كلٌ بحسب استحقاقه ، وبحسب وظيفته الطبيعية .
- **والتعاون مبدأ أخلاقي يدفع إليه الشعور بالحب تجاه الآخرين ، وكذلك الدافع الجماعي الذي يخفف من غلواء الأنانية الشخصية ، وكلا الأمرين من الأسس الأخلاقية العامة.**

- **ارتباط قسم أحكام الأحوال الشخصية بالأخلاق:** إن أحكام الأحوال الشخصية هي التي تنظم أحوال الزواج والطلاق والنفقة والميراث ، ونستطيع أن ندخل تحت عنوانها أيضاً السلوك الشخصي البحت كأحكام المطاعم والمشارب والألبسة ، وهذه الأحوال ترجع إلى فئات منها:
- **أ- تنظيمات اجتماعية:** وقد سبق ذكر ارتباطها بالأخلاق.

- **٢- تنظيمات لضبط الحقوق المادية:** وهذه يدفع إليها من الأسس الأخلاقية العامة حب الحق وإيثاره.
- **ومنها أمور تعبدية بحتة:** شأنها شأن العبادات.
- **ومنها ما يرجع إلى حق الإنسان على نفسه :** في أن يعمل ما يسعدها ويتجنب ما يؤذيها ويضرها.
- **ومنها ما يرجع إلى حق الجماعة على الفرد:** في أن يعمل ما يسبب ضرر أو أذى للجماعة أو لأي فرد من

أفرادها ، وهذه كلها ذات دوافع أخلاقية ظاهرة.

• **ارتباط قسم أحكام تنظيم العقود بالأخلاق:** إن أحكام هذا القسم هدفها الغايات التي تقوم من أجلها المعاملات التي تضبط بالعقود ، وما دامت هذه المعاملات ذات دوافع أخلاقية بالاضافة إلى كونها تنظيمات شرعية وتعاليم ربانية ، فإن كل تنظيم شكلي من شأنه أن يخدم غايتها لا بد أن نجده مرتبطاً عن طريق التسلسل بالأسس الأخلاقية ، وإن كانت الشكليات من

حيث ذاتها ضعيفة الارتباط بالأسس الأخلاقية.

• **ارتباط قسم أحكام الآداب بالأخلاق:** إن الآداب الإسلامية بالاضافة إلى كونها لوناً من ألوان الحكمة في السلوك الشخصي ، الذي يتمتع الإنسان بما فيه من جمال وذوق رفيع ، فيها احترام وتقدير للآخرين وحسن تعامل معهم وفيها ابتعاد عن كل ما يجرح مشاعرهم التي تألف الجمال وتميل إليه ، وتتفر من من القبح وتتأذى منه.

و معلوم أن الإسلام يدعو إلى التجميل للناس والإحسان

- إلى مشاعرهم وينهى عن كل القبائح التي ينفرون ويتقززون منها ؛ بشرط أن لا يكون في التجميل الزائد مضرة اجتماعية أو دينية ، كالتجميل المثير للغرائز والشهوات في الأحوال التي يكون تلبيتها عملاً محرماً.
- وحين نبحث عن الأساس الخلقي الذي يدفع إلى التجميل للناس والتعامل معهم بالآداب المحببة لنفوسهم نستطيع أن نشير إلى:
 - **أ- حب العطاء:** فمن يحب العطاء يحسن إلى الناس بآدابه

- **ب- خلق الشعور بالمحبة للآخرين:** الذي يدفع إلى تقديم ما يسر المحبوب والابتعاد عن ما يؤذيه.
- **ج- خلق علو الهمة:** الذي يدفع إلى الكمال.
- **د- حب الحق:** لأن من حق الجماعة على الفرد أن لا يؤذيههم بسلوكه أو منظره أو رائحته الكريهة أو بكلمة نابية ، أو صوت مزعج والعدوان على هذا الحق ظلم لا يفعله من خلقه حب الحق وإيثاره.